ترجمة كلمة الأستاذ الدكتور

توماس إيرل ستارزل

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للطب (بالاشتراك) عام 1421 هـ/ 2001 م

الجمعة 1421/11/22 هـ الموافق 2001/2/16 م

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو الملكي الأمراء

أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

اسمحوا لي أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم في وجودي بينكم هذا المساء، سواء الذين رشحوني للجائزة، أو الذين اختاروني لها، وأخص بالشكر الأسرة المالكة السعودية وأبناء الملك فيصل الذين أنشأوا هذه الجائزة تكريما وإحياء لذكري قائد عظيم. كما يسرني أن اعبر عن عظيم شكري وتقديري لجامعات شيكاغو وكولورادو وبتسبرج حيث عملت في مجال زراعة الأعضاء حوالي ثلاثة وأربعين عاما. إن الجهود التي بذلها زملائي في تلك الجامعات، وفي المختبرات والمستشفيات الأخرى حول العالم، هي التي ساهمت في إنقاذ حياة مئات الألوف من مرضي فشل الأعضاء المتقدم.

لقد كان لجهود العاملين في مجال زراعة الأعضاء أثر بعيد حقا، فقد كان العلاج الوحيد قبل ذلك هو العلاج المساند الذي يبطيء تأثير الفشل العضوي أو يعوض عنه جزئيا ولكنه لا يوقفه، ومع تطور جراحة زراعة الأعضاء أصبح ممكنا استبدال العضو التالف تماما بعضو آخر سليم، مما أدى الى تغيير جذري في فلسفة علاج الفشل العضوي وأسلوبه، بدءاً بالكلي، فالكبد فالأعضاء الأخرى، مع حدوث ذلك التغيير المؤثر في المفاهيم العلاجية، على أن قبول فكرة زراعة الأعضاء لم يتم بين يوم وليلة، فقد ظلت الجهات الطبية والعلمية تنظر الى زراعة الأعضاء باعتبارها أمرا غير سليم من الناحية البيولوجية – خصوصا زراعة القلب والكبد. ولكن ذلك الشعور تبدد تدريجيا ونحن نرى عددا من الذين زُرعت لهم أعضاء منذ السنوات الأولي لنشأة هذا النوع من الجراحة أحياء بيننا،

ومنهم احد مرضانا في شيكاغو الذي زُرعت له كلية قبل تسعة وثلاثين عاما ومازالت تعمل بانتظام وهو يبلغ حاليا ستة وسبعين عاما من العمر. أما أقدم مرضى زراعة الكبد في العالم فقد أكمل واحدا وثلاثين عاما بعد إجراء العملية.

لذا، وبدلا من اختفاء جراحة زراعة الأعضاء من القاموس الطبي– كما يحدث لكثير من أنظمة العلاج الجديدة المثيرة للجدل– لقد ازدهرت هذه الجراحة وتطورت وأدت الى اكتشاف المزيد من العقاقير الكابحة للرفض والتي أسهم زميلي السير روي كالن بدور فريد في ابتداعها.

لقد لقي رواد زراعة الأعضاء الكثير من التقدير المادي ولكن أعظم تقدير يجدونه هو الشعور بالرضا والإشباع الروحي. فما أعظم أن تري شيئا من ذاتك ولو لمرة واحدة، علي وجه إنسان آخر ساهمت في إنقاذ حياته. ذلكم هو الشعور الذي يحس به كل من يعمل في هذا المجال عندما ينجح، وهو نفس الشعور الذي يعينه عي تحمل الإحباط في الأوقات الصعبة.

لقد مرت بي – طيلة الأربعين عاما الماضية– أوقات كنت أحس فيها وكأنني مركب يسير نحو قدره في بحر متلاطم الأمواج، ولا أظن أن أحدا في مقدوره تحمل هذا الشعور لتلك السنوات الطويلة إلا إذا وجد بصيصا من نور يهتدي به في مشواره. وقد كانت زوجتي جوي– الموجودة بيننا الليلة– هي ذلك النور. فلولا دعمها المعنوي لي لما تمكنت من الصمود في مواجهة العواصف. فشكرا لك يا جوي من أعماق قلبي علي كل ما قمت به وعلي مشاركتك لي في هذه اللحظة الخاصة في ختام الرحلة.

وشكرا